

الأرمن في الحرب الصليبية الأولى (1097 – 1099م)

"الجزء الأول"

أ.د عبد الرحمان محمد العبد الغني

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت.

لم تعرف أرمينية حياة الدعة والسلام طوال فترة العصر الوسيط، لأن أرضها كانت داماً مسرحاً للحروب والتصادم بين مختلف القوى التي كانت تعيش على أطرافها (البغدادي، ص. 1954: 50/1). وقد أدرك اليعقوبي (ت. 284هـ، 897م) في مصدره "كتاب البلدان" (كراتشكوفسكي، أ. 1963: 158/1 - 161) بعين الفاحص المدقق ذلك الموقع الغريب الذي عاشته وعایشته أرمينية حين ذكر قائلاً أن "أرمينية بلد يحيط بها أعداؤها" (اليعقوبي، أ. 1891: 336).

ومما زاد من وضعها سوءاً تفتتها إلى ممالك صغيرة، وكثيراً ما دب الشقاق بين حكامها بتحريض من الأعداء المتآخمين لحدودها. فجيران أرمينية الأقوياء من أباطرة بيزنطيين من جهة وأكاسرة أو خلفاء مسلمين من جهة أخرى، كثيراً ما كانوا يتحينون الفرص المواتية لتأليب أسرة على أخرى إضعافاً لهما معاً، وذلك تحقيقاً للمبدأ السياسي القائم على شعار "فرق تسد"، رغم أن "الأرمن ليسوا في حاجة إلى من يفرق صفوفهم فهم أكثر عداءً لأنفسهم من العدو، حتى أنهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم" (Laurent, J. 1980: 102, 120). ومع ذلك فقد نعمت أرمينية بالاستقرار والسلام لبعض الوقت خلال القرون السابع الميلادي / القرن الأول الهجري بعد ارتقاء الأرمن في أحضان المسلمين المتسامحين تخلصاً من الاضطهاد المذهبي الذي عانوا منه طويلاً في ظل السيادة البيزنطية (Sebeos. 1904: 109). وقد اعترفت بهذا التسامح الديني الذي حظي به الأرمن - في ظل السيادة الإسلامية على بلادهم بينما حُرِّموا منه في عهد السيادة الفارسية والبيزنطية والصليبية - المؤرخة الفرنسية برنديت مرتن هيزار Bernadette Martin Hisard في أحد أبحاثها والذي يحمل عنوان "السيادة الإسلامية والحريات الأرمينية في الفترة من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي". وقد أكدت برنديت أن المصادر الأرمينية لم تُشر إلى ذلك، إلا أن آخر الحفائر الأثرية التي أُجريت في مدينة دوين Dwin - العاصمة الأرمينية آنذاك - أكدت تأكيداً قاطعاً على أن مسلمي القرن السابع الميلادي / القرن الأول الهجري عاملوا الأرمن بالحسنى، ولم يكرهوهم على اعتناق الإسلام، ودللت على صحة ذلك بما شهدته أرمينيا من ازدهار واضح في بناء الكنائس، وأكدت بالتالي - نتيجة هذا الدليل المادي - على حرية الأرمن المطلقة في

ممارسة شعائرتهم الدينية وتشبيد كنائسهم التي شهدت ازدهاراً معمارياً لم تشهده من قبل، دون أية قيود مفروضة عليهم من قبل المسلمين. وقد علقت برنديت على ذلك قائلة إن المسلمين الأول التزموا بهذه المبادئ في تعاملهم مع أهل الذمة في كافة البلدان المفتوحة، ثم أخذت في سرد أسماء البلدان الأرمنية التي شهدت هذه الحفائر الأثرية (Bernadette, 191-190: 1986). (M. 1986: 190-191).

ومنذ خضوع أرمينية للسيادة الإسلامية عام 661م/41هـ في أوائل عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م)، لم تحتل المشكلة الأرمنية مكانة تذكر في سياسة بيزنطة الخارجية إلا بعد ما يناهز القرنين من الزمن، إذ عادت واحتلت مشكلة استعادة أرمينية مكانتها اللائقة في السياسة الخارجية لأباطرة بيزنطة، هذا بينما حاول الأرمن مواجهة سياسة التوسع البيزنطية بكل الوسائل والإمكانيات (Laurent, J. 1971: 8-19). ولكن بظهور الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى الإسلامي (فاضلان، أ. 122: 1954) أدرك الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني Basile II (976-1025م/366-416هـ) (Ostrogorsky, G. 1965: 328-330) (Brehier, L. 1960: 178-179) أن الحد الشرقي للإمبراطورية البيزنطية أكثر تعرضاً لهجمات الأتراك السلاجقة من الحد الجنوبي، لذلك سعى إلى الاستيلاء على إمارة الفاسبوركان Vaspourakan الواقعة في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من أرمينية (الحموي، ي. 1323-1325هـ: 422/1) والتي تعد أقرب ما يقع من أقاليم أرمينية إلى الإمبراطورية البيزنطية. وبالفعل ضم تلك الإمارة عام 1021م/412هـ ووضع بذلك إستراتيجية بيزنطية جديدة تقتضي بالقضاء على أرمينية وهي الحاجز الواقعي للإمبراطورية البيزنطية من هجمات الأتراك السلاجقة لتصبح المواجهة البيزنطية السلجوقية مواجهة مباشرة، ولا شك أن الانحلال الذي أصاب الخلافة العباسية وأدى إلى تفتت وحدتها كان أيضاً من أكبر العوامل التي أدت إلى تغير السياسة البيزنطية وتحولها في القرن العاشر الميلادي من الدفاع إلى الهجوم حين أدركوا أنهم لا يواجهون دولة إسلامية موحدة كما كان الحال في عهد الأمويين أو العباسيين. وقد واصل خلفاؤه من الأباطرة الإمبراطورية والبيزنطية أرمينية وهجرت أعداداً كبيرة من الأرمن إلى موطنهم الجديد في جبال طوروس ليشكلوا فيما بعد إمارة أرمينية الصغرى والتي عاصرت أحداث الحروب الصليبية (سعيد، ع. 1975: 85/1). وكان لا بد لنا من خوض هذه المقدمة حتى نستطلع كيف تمكن الأرمن من الوصول إلى جنوب شرق آسيا الصغرى وذلك قبل انطلاق الجيوش الصليبية في حملتهم الأولى.

وفي حقيقة الأمر أن استيلاء الإمبراطورية البيزنطية على أرمينية يرجع في الأساس إلى اعتبارات عسكرية، بعد أن أثبتت تجارب العلاقات البيزنطية الأرمينية أنه لا يصح الركون أو الوثوق في الأمراء الأرمن للخلاف المذهبي بينهما والحد المتبادل بين الشعبين، على أن ضم بيزنطة لأرمينية لم يتسم ببعد نظر من الناحية السياسية، وكان من نتيجته أن وصل الكرة بين البيزنطيين والأرمن إلى أقصاه، وقد اتضح ذلك جلياً فيما بعد أثناء معركة ملاذكرد عام 1071م/463هـ (Mathieu, D. 1858: 173). حين انسحبت الأرمن من ساحة الحرب لتركوا البيزنطيين يلقون الهزيمة الساحقة بمفردهم على يد الأتراك السلاجقة، فقد كان انسحابهم عاملاً فعالاً في سحق السلاجقة للجيش البيزنطي، بل وصل الحد أقصاه حين كان بعض الأمراء الأرمن عيوناً للأتراك السلاجقة خلال تلك المعركة الفاصلة (القرمان، أ. 1969: 488). وبعد الكارثة التي حلت بالبيزنطيين قام الأرمن بطردهم من كل بلدان جبال طوروس، ومن قبادوقيا وقلقيا فأصبحوا أسبداً دون منازع على تلك المواضع (عبد الغني محمود، ع. 1984: 232-235). وهكذا حين كان خطر الأتراك السلاجقة يطرق أبواب الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى وجد البيزنطيون أنفسهم بين سندان الأرمن ومطرقة السلاجقة، فالأرمن تفاوضوا سراً مع السلطان السلجوقي ألب أرسلان (1063-1072م/455-465هـ) (Attalioae. 1853: 301). وناصروا السلاجقة انتقاماً من البيزنطيين فأقام العاهل السلجوقي أمرائهم على حكم البلدان الخاضعة لهم وترك لهم جيشهم الخاص وأمنهم على مدنها وقلاعهم ونظمهم السياسية والاجتماعية، واعترف لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية والاحتفاظ بعقيدتهم وحماية رجال إكليروسهم، وكان ذلك أسمى ما يحلم به الأرمن في ذلك الوقت، وكان كل ذلك في مقابل الاعتراف بالسيادة السلجوقية ودفع الجزية المقررة عليهم (سعيد، ع. 1975: 98/1-99). ومع ذلك كان الأرمن يخشون تبدل سياسة الأتراك السلاجقة وتحولها في غير صالحهم وهذا ما حدث بالفعل قبل قيام الحروب الصليبية.

وقد حدث قبل معركة ملاذكرد أن عين الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديجينوس 1068-1071م/460-463هـ Romain IV Diogene (سعيد، ع. 1975: 98/1-99) القائد الأرمني فيلاريتوس براخاموس (Philaritius Brachamius) (Michel, L. 1890-1910: 3/173) حاكماً على مرعش عام 1068م/460هـ. ولكن بعد كارثة ملاذكرد رفض فيلاريتوس الاعتراف بالإمبراطور البيزنطي الجديد ميخائيل السابع دوقاس 1071-1078م/463-470هـ (Runciman, St. 1971: 1/196-197) معلناً

استقلاله وتصرف كأمير مستقل بعيداً عن السيادة البيزنطية. وانتهاز فرصة الحرب الأهلية بين مناصري كل من رومانوس وميخائيل وما أعقب ذلك من ضعف أَلَمَّ بكيان الإمبراطورية البيزنطية ليبسط سيادته على عديد من المدن والحصون البيزنطية حتى نجح في بسط نفوذه على الأراضي من طرسوس إلى الرها وملطية ومن قيصرية إلى انطاكية (Guillaume de Tyr. 1844: 188).

ويبدو أن هذا المغامر الأرمني أبا إلا أن يستفيد من الوضع المتدهور لبيزنطة والذي أعقب كارثة ملازكرد وخاصة في ظل تأكده من أن السلاطين السلاجقة سوف يغضون الطرف عن نشاطه داخل الأراضي البيزنطية وخاصة في ظل تبعيته ودفعه الجزية لهم، أو أنه قد أدرك بثاقب فكره مدى إنهاك قوى الطرفين المتحاربين سواء المهزوم أو المنتصر فسعى لتحقيق هذه المكاسب الخاصة به.

ويذكر المؤرخ البيزنطي اطيالطس Attalates أن "فيلاريتوس" قد استقر في بعض المواقع صعبة المرام ذات الجبال الوعرة، بعدية عن ركض الأتراك السلاجقة، ففي ذلك الموضع الحصين كان مستقره، وحرص على سد ممرات الجبال بتشديد العديد من الأسوار كما حصن منحدراتها ومن ثم فقد أصبحت مداخلها آمنة بعد أن أصبح من المستحيل على أعدائه اجتيازها (Albert d'Aix. 1879: 353). وكان من الطبيعي أن تكون تلك المواضع في مأمن من البيزنطيين بسبب ما تمر به الإمبراطورية آنذاك من ضعف واضطراب. وفي الوقت نفسه نجح فيلاريتوس في تأمين أرمن قبادوقيا وقليقيا من هجمات الأتراك السلاجقة، كما خضع له كل من الزعيم الأرمني روبين 1080 - 1095م / 473 - 489هـ (Guillaume de Tyr. 1844: 188) والزعيم الأرمني أوشين Oschin بن هيثوم 1072 - 1110م / 473 - 489هـ (Setton, K.M. 1958: 1/301). وكان روبين قد نجح في الاستقرار في التلال الواقعة إلى الشمال الغربي من قليقيا شمال شرق سيس بجبال طوروس مؤسساً إمارة أرمنية له. وفي غضون ذلك أيضاً تمكن الزعيم الأرمني أوشين من تأسيس إمارة أرمنية ثانية تقع إلى الغرب من إمارة روبين، وبخضوع الأميرين لفيلاريتوس وضع هذا الأخير بذلك أساس إمارة أرمنية الجديدة على حد قول المؤرخ الفرنسي رينيه جروسليه Rene Grousset في جنوب شرق آسيا الصغرى والتي سوف تعاصر وتتفاعل مع أحداث الحملة الصليبية الأولى (حسن، ج. 1947: 43).

والجدير بالذكر أن الأرمن لم يكونوا حديثي العهد بقليقيا، إذ يعود عهدهم بها إلى عهد دكران الثاني 94 - 55 ق م Tigranes II (وليم، ص. 1991 - 1995: 236/1). الذي ضمها إلى أرمنية الكبرى، فما جاء عام 70 ق م حتى أضحى تيجران الثاني واحداً من

أهم حكام الشرق الأدنى خاصة بعد أن امتدت الإمبراطورية الأرمنية آنذاك من بحر قزوين شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً، ومن جبال القوقاز شمالاً حتى فلسطين وقليقيا جنوباً، ووفد على قليقيا الكثير من أبناء جلدته من موظفين وتجار ورجال جيش واستوطنوها في الوقت الذي عاد فيه البعض الآخر من الأرمن إلى أرمنية الكبرى (Foucher, D. 1866: 337).

وقد شهدت قليقيا هجرة أرمنية أخرى في عهد الأسرة الأرشاغونية Arsacides (66-429م)، إذ سكن هؤلاء المهاجرون الجدد جبال طرسوس Tarse بطبيعتها الوعرة. وتذكر المؤرخة الأرمنية الأصل سيراربي در نرسسيان Sirarpie Der Nersesian في كتابها الأرمن The Armenians أنه في أواخر القرن العاشر الميلادي ازداد عدد الأرمن المهاجرين إلى قليقيا حتى أنهم تمكنوا بفضل ازدياد نفوذهم من تتصيب أسقف على مدينة طرسوس وأسقف آخر على مدينة أنطاكية (القلقشندي، أ. 134/4).

وقد زاد عدد المهاجرين من الأرمن إلى قليقيا في أواخر القرن الحادي عشر بعد الغزو البيزنطي ثم السلجوقي لأرمنية الكبرى. وقد أدت تلك الهجرة إلى تأسيس إمارة أرمنية الصغرى التي تحولت بعد قرن ونيف إلى مملكة أرمنية الصغرى وأصبحت الوطن البديل للأرمن (Raoul, D. 1866: 3/634).

ويحد إمارة أرمنية الصغرى من جهة الشرق جبال الأمانوس، ومن الجنوب البحر المتوسط بسواحل الممتدة من طرسوس إلى جنوب الإسكندرون، وبذلك تبلغ مساحة تلك الإمارة حوالي كيلو متر من الشمال إلى الجنوب. ولقد شبه المؤرخ الأرمني بسدرمدجيان H. Pasdermadjian بمصر نظراً لثروتها الطائلة، وأردف قائلاً "أنها تختلف عنها فقط بجبالها التي تشبه جبال الألب Alpes (Historia, B. 1866: 3/185).

وكان من الطبيعي أن يرحب الأرمن ترحيباً بالغاً بقدوم الصليبيين إلى الشرق الأدنى الإسلامي إذ وجدوا فيهم خير حليف لهم ضد الأتراك السلاجقة من ناحية، والإمبراطورية البيزنطية من ناحية أخرى، بل وقد سعوا إلى تحقيق هذا التحالف بين الأرمن والغرب الأوروبي قبل قيام الحملات الصليبية بأكثر من عقدين من الزمن، إذ يذكر المؤرخ الأرمني متى الرهاوي Matthieu d'Edesse في أحداث سنة 523 من التاريخ الأرمني (3مارس 1074، 2مارس 1075م) أن البطريرك الأرمني الكاثوليكوس Catholikos جريجور الثاني فيكايسر Grigor II Vikaiasser والذي توفي سنة 1105م قد ذهب إلى روما ليلتمس من البابا جريجوري السابع Gregoire VII 1073 - 1085م / 466 - 478هـ حث الغرب الأوروبي على تقديم المساعدة للأرمن. ويذكر جوزيف لوران Joseph Laurent أن البابا جريجوري السابع Gregoire VII قد رد على طلب الكاثوليكوس

الأرمني بخطابين وكان الأول منهما في شهر مايو من عام 1080م والثاني في شهر يونيو من العام نفسه. ومن المعتقد أن الخطابين قد سبقهما خطابات أخرى لم تصل إلى أيدينا، وهكذا فإن الخطابين بالإضافة إلى رواية متى الرهاوي عن رحلة كاثوليكيوس إلى روما دلالة تؤكد على لجوء الأرمن إلى طلب المساعدة من زعيم المسيحية الغربية. ومن الجدير بالذكر أن البطريرك الأرمني قد قام بزيارة القسطنطينية ومصر الفاطمية آنذاك وكان يهدف من هذه الزيارات الثلاثة أن يحظى بتأييد ومناصرة هذه القوى وهم ألد أعداء الأتراك السلاجقة (مؤلف، م. 1958: 46).

على أية حال عندما لبى الصليبيون نداء الأرمن والبيزنطيين وظهروا على مسرح الأحداث التاريخية في آسيا الصغرى حرصوا على توثيق علاقاتهم بقيادة الأرمن، فقبل مغادرة الجيوش الصليبية مدينة نيقية (مؤلف، م. 1958: 47) عاصمة سلاجقة الروم حرصوا على إبلاغ قدامهم إلى كل من ثوروس Thoros أمير الرها، وقسطنطين بن روبين Constantin خليفة مؤسس الأسرة الهيثومية الباسطة سيادتها على شمال شرق قيليقيا والذي أنعم عليه الصليبيون فيما بعد بلقب بارون Baron نظير خدماته الجليلة التي أداها لهم على حد قول المؤرخ الأرمني متى الرهاوي.

كذلك لا ينبغي أن يغرب عن بالنا أن الصليبيين قد انضم إليهم أيضاً بعض القادة من الأرمن وأهمهم سيميون Simeon (سمعان) الذي أسند إليه الصليبيون حكم قبادوقيا الشرقية، ويبدو على حد قول كل من بودري دو دول Baudri De Dol والمؤلف المجهول صاحب أعمال الفرنجة Gesta وجيبيرو دو نوجان Guiber De Nogent أنه كان من سكان تلك المنطقة. وهناك أيضاً بانكراس Bancrace الذي اصطحب بلدوين Bauldown حتى شواطئ نهر الفرات، كما أن العديد من القادة الأرمن قد أسدوا النصائح السديدة للقادة الصليبيين وجنباو الجيوش الصليبية الأخطار المحدقة بهم أثناء اجتيازهم جبال طوروس فكانوا من ضمن الأسباب الرئيسية في نجاح الحملة الصليبية الأولى على حد قول جوزيف لوران.

ولقد سبق للأرمن الاحتكاك بالغرب الأوروبي قبل اندلاع الحروب الصليبية، إذ تملك الأرمن الانبهار والإعجاب بالنورمان بعد أن تلمسوا منهم مدى شجاعتهم وجسارتهم في القتال حين كانوا في خدمة الإمبراطورية البيزنطية. وقد سبق للأرمن معرفة النورمان عن قرب حين زود الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديجينوس القائد الأرمني فيلاريتوس بأكثر من ثمانية آلاف من النورمان بقيادة رامبو Raimbaud وقد تمكن بفضلهم من استعادة بعض المواقع التي فقدوها فيما مضى. وقد أدرك الأرمن آنذاك حب النورمان

للمغامرة وقوتهم المذهلة في القتال كما أنهم يختلفون عنهم في ابتعادهم عن المناقشات اللاهوتية، لذلك تقدمهم الأرمن بحماس بالغ ليكونوا خير مرشدين لهم أثناء عبورهم لجبالهم الوعرة وبذلوا قصارى جهدهم لتزويدهم بالمؤن اللازمة لتحقيق غايتهم (Albert d'Aix. 1879: 358).

كما تعرف الأرمن على الفرنجة France منذ أكثر من أربعين عاماً على قيام الحروب الصليبية، فقد كان الفرنجة من بين المشاركين في الجيش البيزنطي أثناء معاركه في آسيا الصغرى، فمنذ عام 1054م/446هـ خاض أحد الفرنجة حرباً بطولية أثناء حصار ملازكرد على يد الأتراك السلاجقة، وكذلك في عام 1097م/491هـ كان قد سبق لبعض الفرنجة الانضمام إلى الجيوش الإقطاعية الأرمنية، بل إن البعض منهم كان قد انخرط في صفوف حاميات بعض القلاع الأرمنية للدفاع عنها. وقد بالغ المؤرخ الفرنسي جوزيف لوران Joseph Laurent في إظهار أهمية المساعدة الفرنجية للأرمن حين قال إن الأتراك السلاجقة كانوا يخشونها تماماً، حتى أنهم لم يفكروا آنذاك في الاستيلاء على أرمينية آنذاك، وأرجع سبب ذلك إلى شهرة مقاتلي الفرنجة وشراساتهم في القتال متاسياً أحوال الأتراك السلاجقة المتردية في ذلك الوقت بعد وفاة ملك شاه آخر السلاطين العظام عام 1092م. ومع ذلك فقد شكل هؤلاء النورمان والفرنجة خطراً كبيراً حين تجمعوا وظهر لهم زعيم مسموع الكلمة مثل القائد النورماني هرفيه Herve وكذلك النورماني كرسبان Crispin إذا ناصب النورمان آنذاك العداء لجيوش الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى، ولكن لم يستطع أي من هذين القائدين الطموحين إقامة كيان مستقل على حساب الإمبراطورية البيزنطية (فتحي، ع. 1966: 245/1).

على أية حال عندما سمع الأرمن بقدوم جمع غفيرة من الصليبيين تحت قيادة قادة جسورين لم يضعوا في الحسبان أو لم يخطر على بالهم أن الحروب الصليبية ستقلب الأمور في المنطقة رأساً على عقب. ولم يظن الأرمن على وجه الإطلاق أن عديداً من القادة الصليبيين قد أتوا إلى بلادهم بهدف إقامة إمارات صليبية مستقلة على حسابهم، في حين كان على الصليبيين في بلاد الشام تنفيذ تعليمات البابا أوربان الثاني Urban II (1088 - 1099م) والتي تقضي بالاستيلاء على الأماكن المقدسة المسيحية وطرد الأتراك السلاجقة من تلك المناطق وحماية المسيحيين المتواجدين والمقيمين فيها. وكان ذلك ما قاله الصليبيون للأرمن عند مجيئهم، إذ أخبروا بذلك اثنين من قادتهم وهما قسطنطين Constantine بن روبيين Roupén وكوغ بن فاسيل Kogh Vasil.

وقد حدث في ذلك الوقت أن تعهد الصليبيون أثناء اجتياز القسطنطينية أنهم سيعيدون للإمبراطور البيزنطي البلدان التي يستولون عليها من الأتراك السلاجقة والتي كانت خاضعة للسيادة البيزنطية من قبل، إلا أن هذا الأمر لم يخطر على بال الأرمن ولم يتقبلوه على الإطلاق، فأرمينية كانت من بين البلاد التي كان على الصليبيين إعادتها للبيزنطيين بعد تخليصها من الأتراك السلاجقة، وذلك لأن الأرمن قد ذاقوا الأمرين من جراء الحكم البيزنطي وأنظمتهم البيروقراطية اللعينة، لكن الأهم من كل ذلك هو التخلص من سيادة الأتراك السلاجقة على بلادهم، وبعد ذلك يمكن إجبار البيزنطيين على منح الأرمن مزيد من الحرية. وتحقيقاً لتلك الغاية حاول الأرمن إبقاء بعض الصليبيين في خدمتهم وعدم عودتهم إلى بلادهم ثانية لذا تزاجوا معهم ومنحوهم الأراضي والقلع والحصون مقابل مساعدات الأرمن وولائهم لهم وكانت النتيجة أنهم تخلصوا بالفعل من السيادة السلجوقية (Mathieu, D. 1858: 218-219). هكذا عاش الأرمن في ظل حيز أكبر من الحرية بفضل مساعدة الصليبيين، بينما كانوا تحت السيادة البيزنطية الاسمية أو الشكلية.

ولقد ساهم الأرمن بفاعلية في نجاح الحملة الصليبية الأولى فقد وفروا للصليبيين المرشدين والأدلاء الأرمن منذ وصولهم إلى البسفور وذلك في شخص الأمير الأرمني بنكراس Pancrace، ولأن بلدوين البولوني Baudouin De Boulogne كان شديد الاهتمام بأرمينية لذلك فقد حرص أثناء تواجده في نيقية (Albert d'Aix. 1879: 353). على توطيد أواصر الصداقة مع بنكراس الذي كانت آنذاك في خدمة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexis Comnene ثم التحق بخدمة بلدوين وأصبح خير مرشد له، وكان على إلمام تام بالمنطقة الواقعة بين عينتاب وحلب (Rey, E.G. 1883: 308). وظل يلزم بلدوين على الدوام في جميع حروبه. ويذكر وليم الصوري Guillaume De Tyr أن العلاقة الأولى بين بلدوين وبنكراس بدأت عقب نجاح الزعيم الأرمني في الهروب من السجن الإمبراطوري. هذا بينما ذكر البيردكس Albert D'Aix أن بلدوين تدخل لدى الإمبراطوري للإطلاق سراحه (Albert d'Aix. 1879: 351) ويواصل وليم الصوري حديثه عن بنكراس قائلاً "إنه اتسم بالشجاعة والخداع معاً، وأنه حث بلدوين على الإغارة على الأقاليم المجاورة ذاكراً له أن باستطاعته السيطرة عليها بسهولة بالغة وبجيش صغير العدد بفضل مساندة ومساعدة سكانها الأرمن له (Dussaud, R. 1924: 461). بينما كان بانكرس يسعى في الحقيقة إلى أن يصبح - بفضل مساعدة الصليبيين

– حاكماً على إقطاع كبير ومستقل في الوقت نفسه عن السيادة الصليبية، إضافة إلى مساعدة أقاربه من الحكام الأرمن في المواضع القريبة من نهر الفرات.

قائمة المختصرات

B	Byzantion. Bruxelles (Paris), 1924 ff.
C.H.A.	Collection d'Historien Arméniens.
CMH	Cambridge Medieval Hisotry, vol. IV, pt. I, II, 2nd revised edn. J. M. Hussey (Cambridge, 1966 – 1967).
C.S.H.B.	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1828 – 1897).
E.H.A.	Etudes d'Histoire Armenienne.
IR	Iranica.
J.R/A.	Journal Asiatique.
R.H.C.,DCO.ARM.	Recueil des Historiens des Croisades, Documents Arméniens.
R.H.C.,H.OCC.	Recueil des Historiens des Croisades, Documents Occidentaux.
R.O.L.	Revue de L'Orient Latin.

المصادر المراجع

(أ) باللغة العربية:

ابن فاضلان، أحمد ابن فاضلان عباس بن راشد حماد. (1959). رسالة ابن فاضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309 هـ / 921م، تحقيق سامي الدهان. دمشق.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق. (1954). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3 أجزاء، تحقيق علي محمد الجاوي. القاهرة.

حسن، حبشي. (1947). الحرب الصليبية الأولى. القاهرة.

سعيد، عاشور. (1975). الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، جزءان. القاهرة.

عبد الغني، محمود عبد العاطي. (1984). السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور اليكسيوس كومن. القاهرة.

فتحي، عثمان. (1966). الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري. القاهرة.

القرمان، أبو العباس أحمد بن يوسف ابن أحمد الدمشقي. (1969). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. بيروت.

القلقشندي، أحمد ابن علي بن أحمد بن عبد الله. (1913 - 1920). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء. القاهرة.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش. (1963). تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. القاهرة.

مؤلف، مجهول. (1958). أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي. القاهرة.

وليم، الصوري. (1991 - 1995). الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، أربعة أجزاء. القاهرة.
 ياقوت الرومي الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي. (1323 - 1325 هـ).
 معجم البلدان، 10 أجزاء. القاهرة.
 اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب المعروف بابن واضح. (1891). كتاب البلدان. دم: نشر دي غوية

٣ (ب) باللغة الأجنبية:

- Albert, d' Aix.** (1879). "Liber Expeditionis pro Ereptione", Emunadatione et Restitutione Sanctae Hierosolymitanæ Ecclesiae, in, R.H.C., H.OCC., 1. IV, pp. 265-713.
- Attaliatae.** (1853). "Mishaelis, Historia", in, C.S.H.B. Bonn: Bekker.
- Bernadette, Martin-Hisard.** (1986). Domination Arabe et Libertés in Histoire des Arméniens. Toulouse.
- Bréhier, L.** (1960). Vie et mort de Byzance. Paris.
- Dussaud, R.** (1924). Topographie historique de la Syrie antique et Médiévale. Paris.
- Foucher, de Charteres.** (1866). "Gesta Francorum Iherusalem Peregrin Antium (ab Anno 1095 osque ad annum 1127)", in, R.H.C.H. OCC., 1. III, pp. 311 - 485.
- Guillaume, de Tyr.** (1844). "Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum", in, R.H.C.. H. OCC., T.I, Part 1, pp.1-702 T.I, Part II, pp. 703-1134.
- Historia, Belli Sacri.** (1866). "(Tudebodus Continuatus)", in, R.H.C., H.OCC., T. III. Paris.
- Laurent, J.** (1971). Les Origines Medievales de la question Armenienne. Louvain.
- Laurent, J.** (1980). L'Armenie enter Byzance et L'Islam. Lisbonne.
- Matthieu, d'Edesse.** (1858). Chronique, trans. Paris: Dulaurier.
- Michel, Le Syrien.** (1890-1910). Chronique, IV vols. trans. B. Chabot. Paris.
- Ostrogorsky, G.** (1965). History of the Byzantine State. Oxford.
- Raoul, de Caen.** (1866). "Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana", in , RHO., H. OCC., T.III. pp. 587-716.
- Rey, E.G.** (1883) Les Colonies Franques en Syrie. Paris.
- Runciman, St.** (1971). A History of the Crusades, 3 vols. London.
- Sebeos.** (1904). Histoire d' Héraclius, trans. F. Macler. Paris.
- Setton, K.M.** (1958). A History of the Crusades, Philadelphia: Baldwin.